

المحاضرة الثالثة:

ماهية البحث الوثائقي

مقدمة: تعد مصادر البحث عموده الفقري في مهمة جمع وتصفية البيانات المتاحة والتي تسمح للباحث الوصول للمعلومات التي سيؤلف بها بحثه، وتعد الوثائق جزءاً لا يتجزأ من وسائل جمع المعلومات بأنواعها المتنوعة والمختلفة، وتلعب المكتبات السبيل التقليدي الذي لا غنى عنه للوصول إلى الوثيقة سواء كانت كتب أو منشور أو موسوعات أو مجلات أو تقارير.. الخ، كما يلعب الكتاب الورقي دور مهماً تقليدياً لإنجاز البحوث والدراسات ومذكرات التخرج سواء المدرسية أو الجامعية أو مختلف المؤسسات التربوية والأكاديمية.

❖ مفهوم البحث الوثائقي:

إن البحث الوثائقي مفهوم يقتضي منا التعريف أولاً بالكلمتين المكونتين له " البحث " و " الوثائقي ". فالبحث في اللغة أن تسأل عن شيء معين وتفتش وتستخير عن هذا الشيء¹. أما اصطلاحاً لا تستخدم هذه الكلمة إلا والمقصود العلمية في البحث أن يكون بحثاً متفقاً مع قواعد العلم ومبادئه ومعتمداً عليها حتى نتقنه ونخبر ميدان المعرفة الذي نبحت فيه.

❖ الوثائقي:

يعرف أخصائي الوثائق بأنه الشخص القائم على حفظ الوثائق وتنظيمها اعتماداً على عمليات إدارية وفنية، يهدف من خلالها إلى تسيير استرجاع الوثيقة عند الحاجة واستعمالها لغرض ما. كما يعتبر الوثائقي الخبير الذي يدرس الوثيقة ويحقق في جوهرها ليقرر صلاحيتها للاستعمال لأن ليس كل ما يكتب يعتبر وثيقة، لهذا فإن العمل الذي يقوم به الوثائقي يخضع لخطة مرسومة وهادفة، فهو يقوم بفهرسة الوثيقة وتصنيفها ليقيم بعد ذلك بتخزينها أو حفظها لتصبح مادة صالحة للاستعمال من أجل تحقيق غرض إداري أو علمي في الوقت الحاضر.

إن الهدف من عمل الوثائقي استعمال المعلومات التي توجد في الوثيقة التي أصبحت وعاء يحمل معلومات ذات قيمة علمية مثل الدوريات والنشرات والتقارير والمواصفات وبراءات الاختراع وما كان مماثلاً لها من المدونات الخطية². وفي هذا الإطار ينظر البعض من المتخصصين إلى الوثائقي بأنه ضابط المعلومات حيث يقوم بتجميعها وضبطها وهو يختلف في هذا المقام عن المكتبي الذي يهتم بأساليب تداول سجلات المعرفة وتوفيرها للمستعملين، والأكد أن عمل الوثائقي يدخل ضمن الخدمات العلمية التي تعالج المعلومات وتضعها في متناول المستعمل.

¹ عبد الهادي محمد فتحي: البحث ومناهجه في علم المكتبات والمعلومات الدار المصرية البنائية، القاهرة، 2005، ص 41.

² الشامي أحمد محمد: المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، دار المريخ الرياض، 1988، ص 383.

❖ المفهوم العام للبحث الوثائقي:

يعود مصطلح البحث الوثائقي إلى النشاطات العلمية التي يقوم بها الطالب الباحث لتعلم الحقائق والمبادئ الجديدة عن طريق دراسة الوثائق والمسجلات. إن البحث الوثائقي هو البحث الذي يهتم بدراسة الحاضر من مختلف المصادر الأولية أو الثانوية، كما أنه الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق ذات العلاقات بموضوع مشكلة البحث، ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث. إن البحث الوثائقي هو البحث الذي سيعمله الباحث من خلال البحث في قواعد المعلومات الإلكترونية أو الدوريات الورقية أو جهات أخرى، بهدف تجميع معلومات تساعد في بحثه العلمي¹.

ويرجع البحث الوثائقي إلى سنة 1870، حيث أن أول استعمال لكلمة التوثيق كان سنة 1870 حيث كان هذا المفهوم يعني البحث عن الوثائق لإنجاز دراسة أو مذكرة، ولقد بقي هذا المفهوم سائدا حتى حوالي سنة 1930م، وأصبح التوثيق يعني الاستغلال المنهجي للمعلومات، كما جرى تعريف التوثيق من طرف الفيدرالية الدولية للتوثيق على أنه يتجلى في جمع، ترتيب، انتقاء، بث واستعمال كل أنواع المعلومات فهو فن وعلم تنظيم المعلومات، والتحكم فيها مهما كان مجالها العلمي أو التقني².

إن البحث الوثائقي يعتبر قبل كل شيء ملاحظة هي بدورها عبارة عن إجابة عن سؤال طرحه، أو عن فرضية نريد أن نتحقق منها، فهو البحث الدقيق المعتمد على مراجع موثوقة تساهم في فهم قضية، أو ظاهرة معينة بالاعتماد على المعلومات المسجلة حولها، والتي تساعد على الوصول إلى النتائج المناسبة المرتبطة بموضوع البحث الوثائقي³. وفي تعريف آخر للبحث الوثائقي: هو البحث الذي يستعمله الباحث من خلال البحث في قواعد المعلومات الإلكترونية أو الدوريات الورقية أو جهات أخرى، بهدف تجميع معلومات تساعد في بحثه العلمي⁴.

- كما يعرف بأنه عملية إيجاد الوثائق التي لها علاقة وطيدة بالمجال والموضوع المقصود، ضمن أدوات البحث المتوفرة، ومن ثم تقييمها وتحليلها ومن ثم استخدامها.

¹ عبد الفتاح عبد الغفور قاري: معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 260.

² بودريان عز الدين: البحث الوثائقي التربوي في مجتمع المعلومات، أطروحة دكتوراه على المكتبات، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2004، 2005، ص 20.

³ عز الدين بودريان: البحث الوثائقي التربوي في مجتمع المعلومات، مرجع سابق، ص 37.

⁴ عبد الفتاح عبد الغفور قاري: معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 261.

- هو أيضا: جملة الأنشطة والعمليات التي يقوم بها الباحث، للوصول إلى المعلومات الصحيحة التي ترتبط بمجال بحثه، ويتبع في سبيل ذلك جملة من الخطوات المنهجية ويجب عليه التمهيد في البيانات بكل أشكالها (نصية، مرئية، مسموعة، سمعية...)¹.
- إن كل بحث عن وثيقة هو مبرر في الحقيقة بحاجة وكل باحث عن وثيقة أو معلومة يهدف إلى تحقيق حاجته من المعلومات، وعملية إيجاد الوثائق التي لها علاقة وطيدة بالمجال والموضوع المقصود ضمن أدوات البحث المتوفرة ومن ثم تقييمها وتحليلها واستخدامها².

ومن خلال ما سبق يتضح أن **البحث الوثائقي** هو: جملة من الخطوات المنهجية التي يتبعها الباحث في سبيل الوصول إلى المعلومات التي تنقصه أو للإجابة عن أسئلة كانت تراوده، مستعينا بكل المصادر المتاحة أيا كان شكلها، والوسائل والطرق التي تسمح له بالاطلاع أكثر عن المعلومات وتصنيفها، ومن ثم استخدامها واستثمارها لإثبات المعلومة والبرهنة عليها بالحجج، أو التحقيق من فكرة أو نفيها أو حتى اكتشاف معارف جديدة.

متى يطبق البحث الوثائقي؟ يطبق البحث الوثائقي لتحقيق واحد أو أكثر من الأهداف التالية:

- وصف الظاهرة.
- تحقيق العلاقة ومقدارها بأدلة وبراهين وثائقية.
- استنتاج الأسباب الكامنة وراء سلوك معين.
- معرفة الأثر الذي يحدث بفعل عامل الزمن على استجابة أفراد العينة.
- ❖ **خصائص البحث الوثائقي:** من أهم خصائص البحث الوثائقي نذكر ما يلي:
- إنه مشترك أي موجود في جميع أنواع البحث ذات الأساس النظري أو المرجعي، سواء كان ذلك في العلوم الطبيعية أو الاجتماعية.
- يحصل على البيانات من مراجعة الوثائق ذات الفترات المختلفة.
- يسمح بإعادة اكتشاف وإعادة تفسير الجوانب المختلفة للموضوع.
- اقتراح وجهات نظر أو نظريات تحليل جديدة بناءً على المعلومات التي تم الحصول عليها.
- يتطلب القدرة على الاستنباط والتحليل.
- يوفر صلابة لاستنتاجات الباحث.

¹ شلال سليمة، عز الدين بودريان: الحاجة إلى التدريب الإلكتروني على البحث الوثائقي لدى الأساتذة والباحثين المنخرطين في النظام الوطني للتوثيق الإلكتروني sndl جامعة تبسة، المجلة الأردنية للمكتبات والمعلومات، مج 50، عدد 3، ايلول 2015، الجزائر ص 249.

² لونس عبد الله: مطبوعة بيداغوجية في مقياس البحث الوثائقي: جامعة البويرة 2020 / 2021، ص 09.

❖ أهداف البحث الوثائقي:

هناك أهداف متعددة للبحث الوثائقي بعضها يهم المتعلم، وبعضها الآخر يهم المعلم ونتحدث فيما يلي عن أهم هذه الأهداف¹.

1- بالنسبة للمتعلم:

- مساعدته على كسب منهجية تساعده على الانطلاق في أي مشروع بحث أو عمل يطالب بإنجازه.
- مساعدته على معرفة مفاهيم ترتيب الوثائق، والبحث عنها وكيفية استغلالها.
- تدريبه على استعمال منهجي للوثائق، مع مراعاة الحاجيات الشخصية لكل متعلم، وخصوصيات موضوع البحث.
- تمكينه من مساءلة نفسه واستجواب الوثائق.
- تنمية قدراته التحليلية والنقدية.
- تمكينه من الحصول على المعلومات بمفرده.
- تعويده على تحمل المسؤولية في اختيار طريقة شخصية لإنجاز العمل.
- تدريبه على البحث الوثائقي الآلي، حتى يتمكن من استعمال الحاسوب لإنجاز بحوثه، وحتى يتمكن من استعمال لوحة المفاتيح والفأرة وقراءة الصفحات على الشاشة ومعرفة نوع اللغة المستخدمة من قبل برنامج الحاسوب.

2- بالنسبة للمعلم:

- تحسيسه حتى يعمل على إبراز أهمية البحث الوثائقي لدى المتعلمين.
- دفعه إلى تغيير طريقته التعليمية وإدماج نشاطات جديدة مبنية على مفهوم التعلم الذاتي المستمر، حتى يجعل من المكتبة والوثائق والمعلومات أدوات تربوية محورية في عملية التعلم.
- من واجب المعلم أن يشجع الأصالة والابتكار عند طلابه، وعدم إلزامهم على طرائقه هو في معالجة الموضوع المطروح، أو طرائق الكتاب المدرس المقرر، بل عليه إفساح المجال أمام شخصيتهم كي تنمو نموًا كاملاً ناضجاً، قادراً على الأخذ والعطاء². ويمكن تلخيص أهداف البحث الوثائقي كما يلي:

- مساعدة الباحث على كسب منهجية تساعده على الانطلاق في أي مشروع بحث أو عمل يطالب بإنجازه.

¹ عز الدين بودريان: البحث الوثائقي التربوي في مجتمع المعلومات، مرجع سابق ن ص 50.

² صوفي عبد اللطيف: المكتبات المدرسية ودورها في مستقبل التربية، دار الأطلس للنشر، دمشق سوريا، 1990، ص

- مساعدته على معرفة مفاهيم ترتيب الوثائق والبحث عنها وكيفية استغلالها.
- تدريبه على استعمال منهجي للوثائق، مع مراعاة الحاجات الشخصية وخصوصيات موضوع البحث.
- تمكينه من مساءلة نفسه واستجواب الوثائق.
- تنمية قدراته التحليلية والنقدية.
- تمكينه من الحصول على المعلومات بمفرده.
- تعويده على تحمل المسؤولية في اختيار طريقة شخصية لإنجاز العمل.
- حثه على أخذ المبادرات الشخصية كإعادة صياغة موضوع البحث أو كمية تسيير المعلومات المجمعة أو إعادة تحديد هدف البحث¹.

❖ مستويات البحث الوثائقي:

يمكن أن نجد ضمن تصنيفات تقنيات البحث الوثائقي عدة مستويات حسب العمق الذي يرغب الباحث الوصول إليه في مجال معين، لذلك تتعدد مستويات البحث الوثائقي لدى الباحثين إلى عدة مستويات أبرزها:

- البحث الوثائقي البسيط:

يمكن أن نطلق اسم البحث البسيط على ذلك الذي لا يستخدم إلا الوصفات والكلمات المفتاحية البسيطة (كلمة أو إثنين على الأكثر) فعبّر الويب والشبكات العالمية والمحلية يمكن أن تحقق نتائج البحث المرجوة بسهولة، حتى لدى الذين لا يستخدمون تركيبات معقدة، ومراحل متعددة للولوج إلى البيانات، فعلى سبيل المثال يكفي أحيانا على المتصفح أن يدخل كلمات مفتاحية تتعلق بمجال بحثه في محرك البحث Google أو في أي واجهة بحث البسيطة في قواعد البيانات البيبليوغرافية للحصول على آلاف وملايين النتائج من صفحات وملفات وتسجيلات بيبليوغرافية تحتوي على الكلمة المفتاحية المطلوبة². لكن البحث البسيط لا يكفي، إذ يجدر بالباحث أن يتعمق أكثر للحصول على نتائج تخدم احتياجاته البحثية.

- البحث الوثائقي المركب (العميق):

إذا قام الباحث باستعمال تركيبات معقدة ومركبة يمكن أن نطلق على هذا المستوى من البحث الوثائقي البحث المركب، إذ يسمح البحث الوثائقي بالتعمق أكثر في البيانات والمعلومات باستخدام تقنيات مختلفة كالباحث المتقدم والأكثر عمقا لتخصيص النتائج وتصنيفها حتى تكون أكثر دقة، بل وأكثر من هذا فيمكن أيضا تخصيص البحث ضمن

¹ عز الدين بودريان: مرجع سابق، ص 82.

² شعلال سليمة: الحاجة إلى التدريب الإلكتروني على البحث الوثائقي لدى الأستاذة والباحثين المنخرطين في النظام الوطني التوثيق الإلكتروني SSDL، مرجع سابق، ص 253.

صفحة النتائج وحدها، ومن أمثلة هذا الصنف من الولوج إلى البيانات: تقنية البحث المتقدم، والبحث باستخدام المنطق البوليني مما يجعل المستعمل أكثر تحكما بالبيانات¹.

- البحث الوثائقي التفاعلي:

سمي الجيل الحالي للشبكات بالجيل التفاعلي حيث يسمح للمستخدم بالتفاعل معها وحرية التعليق واشتراكه في إنتاج المعرفة، والبروز كعنصر فعال يناقش ويتفاعل مع مجتمعات مختلفة في فضاءات افتراضية، وهذا ما يؤثر بصفة مباشرة في فلسفة ومنهجية البحث الوثائقي في البيئة الرقمية الجديدة، فأصبح هو بدوره تفاعليا إذ أصبح الويب الجديد من أهم منصات خلق المعارف الجماعية، تنتج من تكاتف جهود وخبرات مختلفة، فلم تعد شبكة الأنترنت للقراءة والبحث فقط وإنما هو للقراءة والكتابة والنشر والمناقشة، وتبادل الأفكار والخبرات المتراكمة، ومع الأعداد الهائلة للمستخدمين عبر العالم يمكن تخيل الكم الهائل من البيانات التي يمكن الاطلاع عليها ومشاركتها مع ذوي الاهتمامات المتشابهة، ويمكن أن تبرز الجماعات ذات الاهتمامات المشتركة على الويب من خلال المدونات أو جماعات النقاش والعمل، فتتساءل ما هو مستقبل البحث الوثائقي وسط ما يمكن أن نسميه عهد الانفجار الجديد للمعلومات².

¹ شعلال سليمة: مرجع سابق، ص 250.

² المرجع السابق ص 12.